

القدس عالية

«القدس عالية فلماذا يجب أن يبتلعها الطوفان؟»

سداسية الأيام الستة، إميل حبيبي

«تسع سنوات..» كان هذا الحكم في قضية الست السبعينية فاطمة ك. الذي أصدرته المحكمة المركزية الإسرائيلية في القدس، الواقعة في نهاية شارع صلاح الدين الأيوبي، البطل ذات يوم مؤغل في البعد. على مقاعد خشبية في قاعة صغيرة، جلست الست فاطمة تتابع جلسة المحكمة الجارية باللغة العبرية وهي تتتمم بايات قرآنية كمن ينتظر حكماً في قضية اعدام، يدت عيناها غائرتان لم تعرفا النوم منذ أيام. شعار شمعدان دولة اسرائيل المعلق خلف مجلس القضاة كان مائلاً قليلا إلى اليمين.. ديكور المحكمة متروك للصدفة. يعود ثلاثة قضاة من استراحة الغداء، ليحكموا بأن تسع سنوات كافية لأن تقضي الست السبعينية ما تبقى من عمرها في البيت، أي الغرفتان الصغيرتان المغطاتان بألواح زينكو الواقفتان في أحد أحياء القدس «الشرقية»، في قضية اخلاء «رفعتها اسرائيل ضدها باعتبارها متعديا على أملاك الدولة».

الإدعاءات القانونية كلها لن تؤتي أكلها، كون الست فاطمة «متعديا» على البيت، بقدر ما سيفعل الاستعطاق هيئة المحكمة، ما يحدو بمحامي الدفاع بالتمسك بكون المرأة مريضة وأرملة ومتقدمة في العمر، مستعينا باحصائيات تشير إلى أن معدل عمر المرأة في اسرائيل هو أربع وثمانون عاماً، عليه فلم يبق لها الكثير من العمر.. حرام أن يخرجونها الآن! لتتخيل للحظة أن تقف احدانا أمام ثلاثة رجال لا يتقنون لغتها يعاونون غضونها للتأكد من عمقها ويقلبون عمرها كمن يتفحص نعلًا بكفيه ليحسن صلابه جلده! حينما ترجم المحامي لها مفاد الجلسة قالت: «تسع سنوات! زيادة! يكتر خيرهم.. لا أحتاج أكثر لكي أقضي هالعمر» وكان الحياة واجب توقيده صاغرة.

القانون لا يقتل - أي أن عنفه لا يتمثل بالضرورة بهذا السيناريو- لكن القانون ولا شك يقصر العمر.. ذاك هو زمن الناس الذي يقيسونه بوجودهم في المدينة المحتلة. لذلك فتسع سنوات باتت تعد انتصاراً — هائلاً - في مدينة فارة التاريخ كالقدس. إذ في بيت يبعد مئة متر عن بيت الست فاطمة كان الانتصار أضيّق.. ثلاث سنوات، وكذا هو مصير البيت الذي يجاوره والذي سينتهي زمنه مع قدوم الربيع في آذار/ مارس القريب، هناك، بعيداً عن مراسم احياء ذكرى النكبات والتكسات المتراكمة، يقف الفرد بعد زمانه تحت الاحتلال وحيداً.

الماء منبعها للسيادة

ولكن أين يتربص الزمن في القوانين التي «تحسن» ظروف المقدسيين تحت الاحتلال؟ ولماذا يعمنا هذا السؤال؟ عند دراسة القانون أو نقده، غالباً ما نتطرق إلى القوانين التي تمنعنا عن فعل هذا أو ذاك، وتحديدأ حينما تنس بحق ما، ولكن نادراً ما نتطرق إلى ما يتحده لنا القانون. وذلك هو الوجه الأخر لعملة السلطة حيث تكمن القوة التي تحرك المجتمع.. فما بالكم المجتمعات الاستعمارية!

حينما احتلت اسرائيل الضفة الغربية وغزة في العام 1967، وقفت أمام خيارين بالنسبة للقدس: إما باعلانها منطقة محتلة أسوة بباقي المناطق المحتلة فطبق فيها القانون العسكري، أو أعلن كجزء من اسرائيل التي سبق واعترف العالم بسيادتها كدولة في العام 1948، وبذلك لا تخشى من خسارة القدس «مرة أخرى» في المستقبل. ظلت القيادة الإسرائيلية ثلاثة أسابيع حائرة في كيفية الاستيلاء على القدس، فلبس من السهل «لحف» مدينة بشهرة ومكانة القدس من دون صجيج، في 27 تموز/ يوليو، جاء الحل بملف مؤلف من خمس عشرة كلمة، تم ادخاله على القانون الذي أعلن سيادة القانون الإسرائيلي على أرض فلسطين المحتلة العام 1948. ليعين مرة أخرى تطبيق القانون المدني الإسرائيلي هذه المرة على القدس العربية التي كانت واقعة تحت السيادة الأردنية، بالإضافة إلى قرابة 70 ألف دوتن من القرى والمناطق المحيطة.

تحسّر الإسرائيليون لرد على أي احتجاج قد يأتي، فقامت هيئة الرقابة الصحفية الإسرائيلية بمنح الصحف من التطرق إلى تعديل القانون قبيل سنه، وطولبت بعدم إثارة أي صجيج حول تعديل القانون والاكتفاء بالإشارة إليه بأحرف صغيرة مزبونة في صفحاتها، ولما احتجت الأمم المتحدة وأدانت ما اعتبرته «تغيير الوضعية السياسية للقدس»، ردّ الإسرائيليون برسالة للعالمين في تموز/ يوليو 1967 أبرقها وزير الخارجية الإسرائيلي آنذاك أبا إيبين، مفادها أن كل الذي حدث هو أن القدس العربية قد أصبحت في

15 | 1

اعتراضات على استغلال الغاز الصخري في جنوب الجزائر بسبب إضراره بالبيئة والزراعة وحرمان السكان من عواثده. وبين خلافة داعش وخلافة آل سعود... شعرة معاوية!

2

مجانين بغداد يروون سيرتها. ارتباط الظاهرة بممارسات الأنظمة المتعاقبة على البلد: يجنون ليحبوا. وبدائل الحياة لدى السوريين، أو كيفية تكيف الدخول المتأكلة.

3

محامية كانت شاهد عيان في مقتل شيماء الصباح: شهادتها أمام النيابة العامة. وفي المغرب، الفساد على أشكاله مؤجل عقابه.. الى يوم الدين!

4



لاريسا منصور، فلسطين

حفظ وصون بلدية القدس الإسرائيلية، وذلك لتسيير شؤون أهلها الذين فرّق الزمان ما بينهم وبين الشقّ الغربي لمدينتهم!

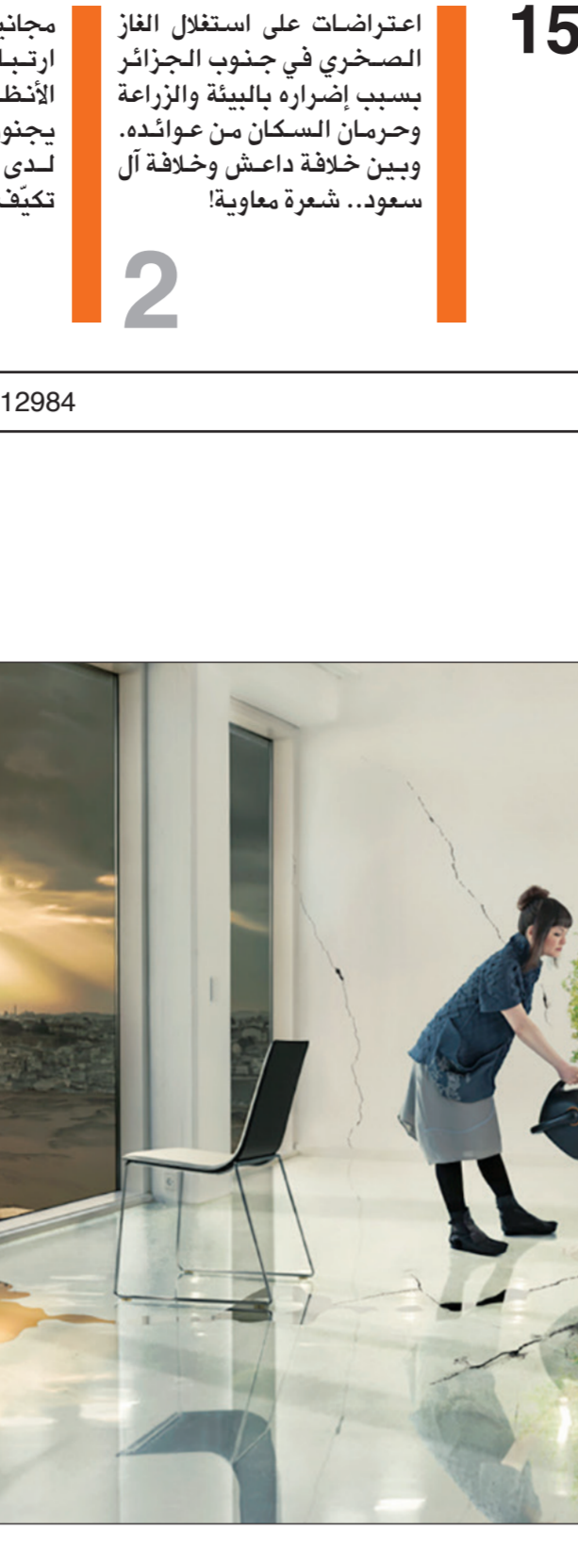
كانت إحدى ادعاءات إيبين بأن القدس عالية تقع على جبال «يهودا» وبذلك فهي تعاني نقصاً مستمراً في الماء، وعليه فإن توحيد البلدة القديمة مع الشقّ الغربي قد مكنّ مدها بضعفي كمية المياه التي وصلتها في السابق؛ هكذا وتحت عنوان الخدمات المدنية، انسحب إيبين في تعداد الخدمات الحياتية التي ستحرص بلدية القدس على توفيرها لأهل المدينة «الموحدة»، من مستشفيات وعبادات مروراً بمخصصات الضمان الاجتماعي التي «ستمنح لأهل المدينة لأول مرة»، وانتهاءً بالمدارس التي تعدّ الأبنية لتُفتح أبوابها في مطلع السنة الدراسية القادمة على الأبواب، ناهيك أن التعليم الإلزامي صار فرضاً على الجميع.

لم يأت إيبين على ذكر بلدية القدس العربية برئاسة روجي الخطيب، والذي أتى به الإسرائيليون بعد ثلاثة أيام من سنّ التعديل إياه إلى فندق غلوريا المجاور لبني البلدية العربية ليعلموه بقرار «حل» البلدية وإحلال صلاحية البلدية الإسرائيلية مكانها. وعندما طلب الخطيب قراراً مكتوباً، تناول أحد الساسة الإسرائيليين والذي كان يتقن العربية متديلاً ورقياً وكتب بالـعربية النصّ الشفوي وأعطاه إياه.

كما تقاضى الإسرائيليون في مراسلاتهم تلك ذكر السيادة الإسرائيلية، إذ ما حاجتها ما دامت تمارسون يوماً مراهنة على أن الزمن كفيل بغرض حقائق على الأرض يفعل سلطة القانون أتي تمنح صلاحية لأي موظف عابر في بلدية القدس الإسرائيلية أو محاكم القدس أو مراكز شرطتها أو أي سياسي عابر مثل اليهود أولرت رئيس بلدية القدس الإسرائيلية السابق (الذنان بقضائيا رئيسي واختلاسات من العيار الثقيل تتعلق بمشاريع عمرانية عملاقة بالقدس)، للسيطرة على الواقع العيشي اليومي، وبذلك إلى تغيير تقاسيم المدينة ولامح مجتمع فلسطيني إلى الأبد.

غاية المرط في سلمه.. كفاية المرط في حربه (التنبي)

«من المفهوم أن هذه المفاوضات سوف تغطي القضايا المتبقية، بما فيها القدس، اللاجئين، المستوطنات، الترتيبات الأمنية، الحدود، العلاقات



والتعاون مع جيران آخرين، ومسائل أخرى ذات الإهتمام المشترك» — المادة الخامسة لاتفاقية أوسلو، أيلول/سبتمبر 1993.

إذن هكذا جردت القدس - واللاجئين بجموعهم - تماماً من ملامحها كمجتمع قائم ينتج ويستهلك ثقافة وسياسة وقيماً ومادة، لتؤجل كين يؤجل فروضاً مستعصية.. بل... ذكرت الاتفاقية أهل القدس في ملحقاتها الأولى، حيث تتيح لسكانها الفلسطينيين المشاركة في عملية الانتخابات التي ستجريها سلطة «الحكم الذاتي» بموجب اتفاقية أوسلو للمجلس التشريعي الفلسطيني.

وحينما حل موعد الانتخابات الأولى للمجلس التشريعي الفلسطيني العام 1996، بدأ الإسرائيليون والفلسطينيون بالتشاور في كيفية تسيير العملية الانتخابية، فما كان من إسرائيل - التي كان من المفهوم أنها ستعزل سيرورتها تخيبناً لسيادتها الفعلية في المدينة - إلا أن اشترطت أن يصوت المقدسيون عبر وضع مغلفاتهم في مكاتب البريد الإسرائيلية القائمة في القدس. إمعاناً في ذلك، رفضت أن تدعى الصناديق التي تلقى بها المغلفات ب«صناديق اقتراع» وانما ب«حاويات»، ثم اشترطت أن يكون الشقّ الذي يلقي المغلف عبره في واجهة الصندوق يدل أن يكون من الأعلى، لكي يبدو كصندوق بريد لا صندوق اقتراع! في النهاية جعل الشق من أحد الجوانب لتبديد ملامح كلا الخيارين!

إذا ما يقبع في بُب الخطاب السياسي الفلسطيني هو النطق الناظر إلى القدس كمكان ثابت لا متغير، كأنها مقولة «القدس الشرقية عاصمة الدولة الفلسطينية»، المرذة في كل مناسبة وعلى كل منبر تحصّنه كحزب من كل شر. هكذا غابت عن الاتفاقية التفاصيل التي تصوغ حياة المقدسيين تحت الاحتلال الإسرائيلي منذ العام 1967، وعلى رأسها الوف البيوت المهذمة ولغاء صلاحية آلاف هويات الإقامة للمقدسيين وطردهم من المدينة، ناهيك عن النسب العالية جدا من الفقر والبطالة والتسرب من المدارس، علماً بأن المعلومات كانت قائمة وحاضرة لمن يشاء، ولكن أسوة بكل ما يتعلق بأوسلو ومفاوضها، فان التفاصيل على الأرض لم تكن مهمة، ولا حاجة لخرائط أو احصائيات سكانية واقتصادية وغيرها. كذا كان مصير القدس التي ما كان لئلل هذه الاتفاقية أن تبدل من حال أهلها أو

قناص أكياس البرغل

مدتراً بمعطفه الثقيل، عبر الساحة الحكومية، عبر الساحة الحكومية، الفضية إلى الأمانة الجديدة للمؤسسات الحكومية، المنقولة بسبب جغرافيا الحرب من خطوط التماس إلى الجغرافيا الأقل حربية، حلاً بين يديه حزمة من الأوراق تخص المركز الإغاثي الذي يشرف عليه، والتي عمل في الصباح الباكر على تثبيت التوافق والأختام على متونها وهوامشها، علماً تكتسب أقداما وسيفانا، وتضخ في شرايينها دماء جديدة لتسير إلى منتهى طريقها الوعر.

حين النظر في عينيهِ الباديتين كرتي رصاد مشويتين برزقة خامدة، لن ترى التمعاعات ملامح المستقبل اللطاف بثنائية عذبة، كما هي الحال في الأناشيد المدرسية وأغاني الإذاعة، بل نسيب الحيرة ودخانها المخنوق، الجائم على صدور الناس الدثريين باليسة متشقة، اللائمين بعماء في الشوارع. انحدر من تلك السلالات الأدمية المنذورة للقتل والتصجير في زمن الحروب، والمسافة بالقييد إلى السجون في زمن السلم.

لم تسعفه الدعاءات الالهية من صدر أمه للتحرز من حزمة المصائر التي تریصت به كأقدار عيما، وخال كسا الكثيرون، أن الالتزام المنضبط بتعاقب إضاءات الإشارات المرورية كاف ليجنبه الدعس الأزع من سيارات تتعجل الجبور الهائج ككذائر حربية.

يجلس في الصباح الباكر مع فنجان قهوته أمام النافذة الواسعة في صالة بيته، التي تأخذه زواياها الثلاث إلى ثلاثة أماكن ذات معنى، إلى الجنوب حيث ساعة «باب الفرج»، أي إلى ذاك البروز المتأخر للتحديث الديني في أواخر الحكم العثماني، التي بدأت تظهر بواكيره في المدينة قبل أن يوقفها الإعداء للحرب العالمية الأولى، وإلى الغرب حيث الإطلالات العالية لذرى أشجار الصنوبر في «الحديقة العامة»، أي إلى الاستهلاكية المبهجة لعهد ما بعد الانتداب، لتلك المبادرات الأهلية التي كانت تتسابق مع الحكومات المتعاقبة التي سمعت تمييز نفسها عن الانتداب بتوفير فسحات من الفرحة

عشرين كيلو من وزنه، ومجموعة من أسنانه، وعاد ليقف أمام النافذة الواسعة ويذّور السؤال الذي لم يبارحه: ما الذي يمكن عمله في مثل هذه الشروط الجديدة. وجد الطريق سالكا نحو العمل ب «المراكز الإغاثية»، منحها وقته كله، وهو المتقاعد بعدما أتم سنوات عمله الحكومي. وكان العمل الجديد سانحة للإطالة على الأوضاع التي خلفها الصراع، بعدما توضع على شكله الحربي مقتحماً المدينة دون تبصر بأحوالها المعقدة. استقبل مئات العائلات في المكتب الموضوع الذي تبرع به صاحبه للأعمال التي لما نزل توصف بقاموس المدينة ب «خيرية»، نساء مع أطفالهن غيباب أزواجهن، رجال غيباب نساثهم.. ساعده شبان متطوعون في تدوين الإستماترات التي تُبين وضع العائلة الحالي، عدد أفرادها، عمل الأبوين، مكان الإقامة، وسبب طلب المساعدة.

يقف ليحصى أكياس البرغل والأرز والعدس وعبوات الزيت، ويفرّزها على فسحات قبل أن يفتح الجداول الطويلة ويعيد ترتيبها في مجموعات تعرف ب «السلة الغذائية»، تراعي وضع الأسرة وعدد أفرادها. أنهكته الأرقام وقساوتها وتآويلاتها المفجعة، حين تقترب من الحقائق كلها أو بعضها: «يساند برنامج الأذنية العالي شهرياً نحو 4.25 مليون شخص متضرر من الأزمة في سوريا»..

في طريق عودته إلى مكتب الإغاثة عابراً الساحة الواسعة شرد مع السؤال، وحزمة الأوراق التي حملها من الصباح الباكر «أن نبدأ بنداءات الحرية والعدالة والكرامة الإنسانية والوطنية، وننتهي بتوزيع أكياس البرغل على النازحين».. لكن القناص الرابض في الأعالي لم يشرد، سدد نحوه طلقاته لترميهِ كما بلاده وثورتها، جريحاً على الحصباء.

عزيز تبسي كاتب من سوريا

اللاجئين المؤجلين، وحال من شملتهم الاتفاقية ليس بأفضل. لم يتدفق أهل القدس زرافات زرافات إلى صناديق الاقتراع، لا الفلسطينية منها ولا الإسرائيلية، وهم الذين «يمتازون» بحفهم بالتصويت لسيادتين: بلدية القدس الإسرائيلية والمجلس التشريعي الفلسطيني. أما الأولى فحاضرة تكتم أنفسهم في مدينتهم، وأما الثانية فتلوح من بعيد وأعضاؤها ممنوعون من الوصول إلى المدينة. بدلاً عن ذلك، تحافظ السلطة الفلسطينية على رمزية القدس عبر فعاليات شتى تقوم بها في رام الله، مثل اللقاء مع قناصل تقف مقراتهم في القدس ومنح وسام القدس لمختلف الشخصيات وسنّ قانون القدس الفلسطيني الذي يقرّ أن المدينة هي مكان الإقامة الدائم للسلطات الثلاث.. ذات يوم.

القدس ليست كليشيه

عندما خرجت الست فاطمة ك. من المحكمة ذلك اليوم، قالت للمحامية الإسرائيلية التي ترافقت ضدها، بعبرية مكسرة للممتعا من شظف الحياة تحت الاحتلال: «أنا كنت في بيتي قبل اسرائيل». إن هذا الزمن الذي «حوشته» الست فاطمة وآلاف غيرها، هو القشة التي يخضب عليها الناس في هذا الطوفان، والذي لا يستطيع أي قانون الإسماك به، إذ لا يتقاطع مع أي زمان سياسي.

زمن الناس الأصيل لا يعترف بالسياسة ولا بالقوانين ولا بالاتفاقيات الواهية.. إنه أشبه باليقين الذي هو وحده القادر على شرح منطق الوقوف في وجه كل هذا الكّم من الظلم كل يوم. بعيدا عن الشعارات الرنانة والبطولات والكليشيات التي أنمت العالم أن القدس، سواء كانت تلك الحتلة أم تلك القدس، مكان يعيش فيه ناس. حينما يقول لك أحدهم - وقد فعل - «لو هدموا البيت بنصب بيت شغّر وبعقد فيه»، فهو لا يقول ذلك للكاميرا، بل لنفسه.. حتى لا يأتي زمن ينظر فيه إلى الوراء متحسراً على تبديد ولو يوم واحد في مدينة اسمها القدس.

حنين نعامنة
محامية وكتابة فلسطينية

زمام الأمور

باتت السلطة في منطقتنا تحُترّل بسؤال كيفية الإمساك بزمام الأمور. وهو ليس حال كل سلطة في كل مكان، ولو أن تلك السيطرة هي بالطبع جزء من مهامها. تعتد الملكيات بشرعيات شتى، قد تكون دينية و/ أو قبلية، لد بساط ذلك الإمساك بزمام الأمور فوق رأس المجتمع. وتختلف درجة نجاحها بحسب رسوخ تلك الشرعية في الأذهان العامة، متصاحبة مع أدوات وترتيبات معقدة بالضرورة. وخير مثال هو حال الملكتين السعودية والغربية على طرفي الأمة. وهذا البناء، مهما بلغ من تماسك، لا يلغي التوترات كما يبعثُ عن كل سقاسف السلطة.

وتعتد أنظمة أخرى بشرعيات «ثورية»، وأهمها كما تظهتت في منطقتنا مسائل فلسطين والوحدة العربية والعدالة الاجتماعية، سواء عنث تأميم الأرض وإعادة توزيعها على الفلاحين (والنقط وقناة السويس).. أو تحفيز التصنيع أو نشر التعليم العام الجاني وإقرار تقديمات اجتماعية شتى.. وعلى الدوام، وفي مختلف الصيغ التي قامت هنا، كان التحدي هو قياس المتحقق من بنود تلك الشرعية وموازنته بأثمان (فيل إنها لازمة للإنجاز) على رأسها إنشاء سلطات بوليسية مستندة الى أجهزة مخابرات متغلغلة في النسيج الاجتماعي، وإلى قمع عالي السقف وتسلط على كل تأمة. وسرعان ما تبتلع الأدوات تلك كل شيء وتثبت أنه لا مستند عادل.. وأن فساد التسلطين قانون في التسلط.

وأما أن تطمح أي سلطة إلى تحويل الإمساك بزمام الأمور إلى هدف بذاته تعلق عليه شرعيات عابرة أو سائلة، مفكرة على قياس الظروف، فمؤشر إلى هشاشة وإفلاس شديدين. نظامٌ حجتُه تحقيق السّتر (مستثمرأ في التخوف من «الفوضى»، أو يستعبر مقولة «الحرب على الإهاب» ليحيلها سبباً لوجوده، قصير النفس والدى معاً، وكاريكاتوري مثير للسخرية.

وبحكم الخواء، تتلازم «الشرعية» العشة مع قدر مهول من التسلط العاري والقسوة الفجة، المتعاطمين بالضرورة.. والأمثلة لا تحصى. وفي مصر، أكبر بلدان المنطقة وواسطة عقدها كما توصف، تترك سلطة من هذه الطينة الشاب المعتقل محمد سلطان مضربا عن الطعام منذ أكثر من 365 يوماً، متحوّلا الى شبح حي - ميت، وتطلق شرطتها النار بلا داع على الشابة شيماء الصباح ونقلتها من دون أن يرف لها جفن.

... تقتل وتعتقل بكل اعتبار، والقدص هو إرساء الخضوع التام.. حسناً، ولكن: من أجل ماذا؟

نحلة الشهاال

ملف

النظام حائر بين القمع والوعود

جنوب الجزائر: «لا للغاز الصخري»

تشهد «عين صالح»، في أقصى الجنوب الجزائري، منذ 31 كانون الأول/ ديسمبر 2014 حركة احتجاجية واسعة تطالب الشركة البتروغازية العمومية سوناتراك بوقف استغلال الغاز الصخري الذي شرع فيه تجريبيا في هذه المنطقة (حوض أهناث، ولاية تامنراست). وقد حطمت هذه الحركة صورة نمطية، الجنوبيون فيها أناس «مسالون»، يأتَمرون بأمر شيوخهم، خاصة وأن مسيرات مساندة لهذه الحركة نُظمت في مدن جنوبية أخرى مثل أدرار وتامنراست والنعمة، وكذا في ورقلة، مركز ثقل حركة كبيرة الأهمية تستهدف تحسين حصّة الشباب الصحراوي من سوق العمل في صناعتي البترول والغاز.

يرفض أهالي عين صالح استغلال الغاز الصخري لما يشكّله من مخاطر بيئية وصحية. فاستخراج هذه الحروقات غير التقليدية باستخدام تقنية «الكرس المائي» يحتاج إلى كميات هائلة من الماء، ما يهدد بإنضاب المخزون الجوفي منها. كما أنه يتوجب ضخ مواد كيميائية سامة في باطن الأرض، ما قد يكون أثره القضاء المبرم على فلاحه الواحات العريقة وانتشار بعض الأمراض المستعصية كالسرطان (لا تزال العواقب الصحية للتجارب الذرية الفرنسية في الصحراء الجزائرية بين 1960 و1966 حيّة في الأذهان).

ويتركز الاحتياطي الجزائري من الغاز الصخري (الثالث عالميا بعد احتياطي الصين والأرجنتين حسب أرقام الوكالة الدولية للطاقة) تركزا كاملا جنوب البلاد، موزعا على سبعة أحواض هي: مويدير وأهناث ورفان (وسط الصحراء) وغدامس وبركين (الجنوب الشرقي، قرب الحدود الليبية) وتميمون وتندوف (الجنوب الغربي).

السلطة «تحاور»

وبدت السلطات الجزائرية مباغثة كل المباغثة بهذه الاحتجاجات، فتضاربت تصريحات مسؤوليها. منغم من أكد ألاّ خطر على البيئة من الغاز الصخري (وزير الطاقة، يوسف بوسفي، 8 كانون الثاني/ يناير 2014)، وكان النقاشات الدائرة حول هذا الموضوع

في كثير من البلدان هراءً في هراء، ومنهم من ذكر بأن الانفصال الجارية في أهناث اختيارية محضة تستهدف تقييم مخزونه، وأن استغلاله «ليس في جدول الأعمال» (الوزير الأول عبد الملك سلال، 16 كانون الثاني/ يناير 2015)، ما يعد تناسيا لحقيقة بيئّة: الشراة التي فُجرت

برميل البارود في عين صالح كانت تصريحا لويزير الطاقة قال فيه إن نجاح التجارب في هذا الحوض «يجعلنا ن فكر في إمكانية استغلال موارده»، (27 كانون الأول/ ديسمبر 2014). وفي الواقع، لم يكن هذا التصريح سوى ترجمة أمينة لإعلان سوناتراك في تموز/ يوليو 2014 أن إنتاج الغاز الصخري سيبدأ سنة 2020، بل وأعطت حينذاك تقديرا دقيقا لحجمه المرتقب بعد شروع أول الحقول في العمل (30 مليار متر مكعب، أي 23 في المئة من الإنتاج الغازي الجزائري المقدر في 2013 بـ 127 مليار متر مكعب).



ونظرا لدقة الوضع في الجنوب (حركة البطالين في ورقلة وغيرها، المواجهات في وادي ميزاب بين «العرب» و «الأمازيغ»، نشاط المجموعات المسلحة العابرة للحدود...)، لم تلجأ السلطات (لحد الساعة) إلى القمع على نطاق واسع، مفضلة إرسال مسؤولين بارزين فيها للتحدث مع ناشطي «المجتمع المدني» في عين صالح. بل إن رئيس الجمهورية أوفد لمحاورتهم

«كنا حقا لقنابلكم ولن نكون حقا للغاز الصخري»، إشارة إلى استعمال أقصى الجنوب الجزائري مجالا لتجارب فرنسا النووية والكيميائية حتى بعد الاستقلال.

مثملا شخصيا عنه.. وللأسف لم يكن مبعوثة هذا سوى المدير العام للأمن الوطني، عبد الغني العامل، ما عبّر ببلاغة نادرة عن عقم الجزائر الرسمية وعجزها عن أن تجد من يتكلم باسمها في هذا الموقف الحرج عدا جنرال «مختص بالغازات السائلة للدروع» كما قال أحد الصحافيين على شبكة فيسبوك.

غبن سكان الصحراء
ويلاحظ أن التحركات الاجتماعية في الجنوب خلال السنوات الأخيرة ارتبطت كلها، بشكل أو

وبآخر، بمسألة استغلال ثرواته من الحروقات. فأحد مطالب المظاهرات التي شهدتها ورقلة في آذار/ مارس 2013 كانت إعطاء الأولوية للجنوبيين في العمل في الصناعة البتروغازية، وقد لخص رئيس الجمعية البيئية «شمس» (في عين صالح) مجمل الأمر بقوله ليومية الوطن الناطقة بالفرنسية (كانون الثاني/يناير 2015): «لم نستغف من الغاز التقليدي ولا من الربيع البتروولي، والغاز الصخري سيحرمتا من النزر اليسير الذي تبقى لنا»، أي الفلاحة الصحراوية والثروات المائية الجوفية.

وتعبّر هذه التحركات الاجتماعية عن إحساس بالغين لدى سكان الصحراء، بدأ جليا من خلال بافتتين حملهما المظاهرون في عين صالح. الأولى تقول ببساطة مؤثرة: «تكفيننا قساوة الخبزية الخارجية، خاصة وأن الاستهلاك المحلي يتزايد بشكل كبير (+ 26 في المئة بين 2006 و2012 بما يخص الغاز الطبيعي)، وهي اليوم في مأزق حرج، مختارة بين أمرين أحلاهما من: الرضوخ لمطالب الحراك الشعبي في عين صالح لن يكون مؤشرا إيجابيا للشركات البتروغازية العالمية التي لا يمكن تصور استغلال الغاز الصخري من دون عونها، لكن قمعها قد يشتر خار السخبط إلى مناطق جنوبية أخرى توجد فيها أحواض محروقات غير تقليدية.

النووية والكيميائية حتى بعد الاستقلال. ويذكر هنا أن قمع بعض هذه التحركات كان السبب المباشر لتكون مجموعة مسلحة سمت نفسها «أبناء الجنوب من أجل العدالة الإسلامية»، وقد مكنت الواسطات القبلية من إقناع بعض أعضائها بتسليم أنفسهم إلى أجزعة الأمن في 2008. لكنها لم تنفرض، بل إن زعيمها محمد الأمين بن شئب هو من قاد في 2013 هجوما على موقع تيفنغتون الغازي (أقصى الجنوب الشرقي) قضى فيه حوالي 40 رهينة معظمهم من



الأجنب. وما كان هذا التنظيم ليولد لو لم يكن بعض من تولوا تأسيسه فيما بعد قد حوكموا سنة 2004 بتهمة «إنشاء منظمة غير قانونية»، لا لشيء سوى نشاطهم في حركة سلمية طالبت بتحسين أوضاع أهالي النواحي الجنوبية، خاصة في مجال التشغيل. وبالنظر إلى هذه التجربة، فالخشية هي أن تجتذب المنظمات الجهادية الشباب المهتمش في هذه الصحراء الغنية بمواردها، الفقيرة رغم كل مخصصات الميزانية العمومية لها منذ الاستقلال.

تخبط الحكومة خبط عشواء في وضع اقتصادي ازداد هشاشة بعد انهيار أسعار النفط، ولا مخرج منه، في إطار تصورها الريعي للاقتصاد، بغير زيادة إنتاج الحروقات لتدارك تراجع مداخيل الخزينة الخارجية، خاصة وأن الاستهلاك المحلي يتزايد بشكل كبير (+ 26 في المئة بين 2006 و2012 بما يخص الغاز الطبيعي)، وهي اليوم في مأزق حرج، مختارة بين أمرين أحلاهما من: الرضوخ لمطالب الحراك الشعبي في عين صالح لن يكون مؤشرا إيجابيا للشركات البتروغازية العالمية التي لا يمكن تصور استغلال الغاز الصخري من دون عونها، لكن قمعها قد يشتر خار السخبط إلى مناطق جنوبية أخرى توجد فيها أحواض محروقات غير تقليدية.

ياسين تملاي
صحافي من الجزائر

فكرة

بابل مطابقة..

غير مطابقة؟

في لحظة تجلّ أواسط الثمانينيات، وبينما كانت الحرب الإيرانية العراقية تززع ما تيسر لها من موت ودمار، قرر صدام حسين بمعية حكومته إعادة إعمار مدينة بابل الأثرية وهكذا كان. أعاد إعمارها... فشيّد مبانيّ جديدة حُفرت عليها عبارات من نوع «من نبوخذ نصر إلى صدام حسين الجيد.. بابل تنهض من جديد». وكذلك ختم جدران المدينة بنقشين متداخلين، للملك البابلي الأُختر شهرة نبوخذ نصر، وله، كما تم داخل المدينة الأثرية بناء قصر ومقصورة شرف خاصة بصدام حسين من المرمر والمواد الحديثة. وتم إطلاق اسمه على تل وسط بابل الأثرية.

لهذا، ولأنّه تبيّن أن عمليات الترميم غير مطابقة للمعايير الدولية التي تتعامل بها اليونيسكو في هيئة الأثار، وبسبب استخدام السلطات العراقية لمواد مختلفة عمّا استعمله البابليون، قرّرت المنظمة في العام 1988 رفعها من قائمة التراث العالميّة.

وفي العام 2009، رفضت اليونيسكو إعادة إدراج المدينة في قائمة التراث العالمي، بعد طلب من الحكومة العراقية، وأشارت المنظمة بشكل صريح إلى استحالة ذلك ما لم تتم إزالة المنتج السياحي الذي أقامته الحكومة المحلية السابقة وحولت أقسامًا منه إلى متاحف ومراكز علمية.. وأثير حينها أن أكثر من 4 مليارات دينار مجهولة أوجه الصرف أنفقت على تأهيل «مختجع بابل».

وفي ذلك الوقت، وبعد الرّد، أعلنت اللجنة المشرفة على تنفيذ مبادرة رئيس الوزراء (الخاصة بالإعلان عن جعل النصف الثاني من عام 2009 عامًا وطنيًا لحماية الآثار والتراث والمتاحف العراقيّة) عن قلقها إزاء رفض اليونيسكو.

وخرّجت الأمانة العامة لمجلس الوزراء ببيان تقول فيه إن «اللجنة بينت أن ثراء العراق الحضاري واضح، لا يحتاج إلى تأكيد وبالأخص مدينة بابل الزاخرة بالشواهد العمرانية».(١). أي أن القوم كانوا لم يدركوا بعد أين يقع العطب، لا في مسلّكهم ولا في مسلك صدام حسين من قبلهم.

ما سبق من مطعيات مرعب. تناقضات وملفات مفتوحة على الفساد والإهمال والجهل. وزاد الطين بلّة ما ارتكبه الاحتلال الأميركي بين عهدين من نهب لآثار حيننا لا يقع عليها قصف وتدمير. وهؤلاء كانوا قد حولوا المدينة الأثرية إلى.. قاعدة عسكرية.

منذ أسبوع، أعلنت وزارة السياحة والآثار العراقية استكمال الملف الخاص بطلب إعادة بابل إلى قائمة التراث العالمي. وأكد الوزير المعني أن اللجنة المكلفة أنجزت أعمالها وسيتم إرسال التقرير إلى اليونيسكو مطلع شهر شباط المقبل. فهل حقًا أنجز كل شيء، حتى لا يتكرر الرفض وتستباح أكثر آثار العراق الفني فعلا بتاريخه السحيق؟ إذ تعود إلى الذاكرة صورة رأس ملك الحضر «سنطروق الأول»، الذي استعادته السفارة العراقية في بيروت في شهر أيلول من العام الماضي.. وقدمه إلى الإعلام دبلوماسيان من السفارة يقفان خلف الرأس (التمثال) الموضوع في صندوق يستخدم.. لتوضيب البندورة.

زينب ترحيني

بين خلافتي داعش وآل سعود شجرة معاوية!

الملكة، وبعاءه شأن المذهب من حيث طغيانه على المذاهب الأخرى، ووضع أوقاف وميزانيات ضخمة تحت تصرف مشايخه لإشباع نهمهم والسماح لهم بقيادة أمور القضاء والإفتاء وممارسة دورهم من خلال لجنة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما يلزمها من رجال المطاعة الذين يتربصون الناس ويتقبونهم لتطبيق شعائر الدين كالصلاة والتحجب، وهناك أكثر من 12 ألف سعودي وهابي يقاتلون في سوريا والملكة تفض الطرف عنهم.. بالرغم من كل ذلك، فإن حكام المملكة متهمون بالخروج عن المذهب وبأنهم عصاة. وهكذا يجد الجهاد الوهابي بنسخته الداعشية حاضنة هي من أشد الحواضن نفوذًا، بسبب البنية الفكرية وسطوة الوهابية على مفاصل الدولة وخاصة منظومتها التعليمية والوظيفية.

نسخ متصاعدة من الجبّد ذاته

الدولة الوهابية بنسختها الداعشية تجاور الآن الدولة الوهابية بنسختها السعودية، فأيضا أكثر اتساقًا مع المذهب؟ أيّما أكثر إقناعاً لبيئة ما زالت تتوق لدولة وهابية فاضلة نتيجة فشل حكام المملكة بتحديث وعصرنة أسلوب المعاش السائد بخبط مدني جامع يستمد من روح الدين دستوراً وقوانين وتشريعات ونظماً تعليمية تعتبر الناس آمنين رأسمال، وأن أقصى درجات الجهاد هو جهاد الحرية المسؤولة لأن الله خلق الناس أحراراً ويوم الحساب النهائي هو وحده يوم الدين؟ يبدو أن الوهابية القديمة التي تعابش معها آل سعود طيلة تاريخهم (منذ العام 1744 ولقاء الدرعية بين محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب) وحتى الآن قد شاخحت، كما حلت الشيخوخة على آل سعود لأن أصرتها بتدابلية وحيلها السري واحد. والاثان الآن أمام خيارات صعبة، فإما الموت أو التجدد. الوهابية الجديدة تجسد بـ«داعش»، وأما آل سعود، فطريق المرواحة في منزلة بين المنزلتين ليس فاعلاً. وإعلانهم أنهم ضد «داعش» والفكر التكفيري الإرهابي، وأنهم يشاركون التحالف الدولي والإقليمي لمواجهته، (وهم فعلاً يواكبون عمليات ضرب داعش، ويجنبون أنفسهم بذلك أصابع الاتهام التي تشير إليهم)، لكن ذلك يجري بلا حسم للاتجاه: فهل يتجاوزون الوهابية الجديدة والقديمة معاً؟

ملكبة دستورية

تعود آل سعود على إصلاحات ديكتورية، وعلى استبدال لائحة حقوق الإنسان بلائحة طويلة من الرشاوى التي تفقد الأموال عند أي استعصاء، ولكن ذلك لا يكفي بإزاء النفاس الجديد، ولا يقي البلاد شر التصارع الداخلي ولا شر التدخل الخارجي طمعا بخراتها وموقعها الاستراتيجي. إن إطلاق سراح كل المعتقلين السياسيين، منقلبي الرأي، هو أولى خطوات الإصلاح الذي لا يخدم فقط الشعب في السعودية وإنما

حكامها الذين يريدون الاستمرار بحكم البلاد من دون قلق وخوف من شعبيهم ، وإجراء حوار للمصالحة الوطنية بين كل المتضمرين من الحكم الطائفي القائم على اسس التفرقة القبلية والمناطقية والمذهبية، ومن تم تشكيل لجنة وطنية من كل الأطراف لوضع مسودة دستور فاعل ليس كدستور 1992 الذي أريد منه ذر الرماد في العيون، وطرحه للاستفتاء العام، وتشكيل هيئة عليا مستقلة مهنية للانتخابات، وتشريع قانون لجلس النواب والجالس المحلية يصلحيات كاملة... ومن الطبيعي أن تكون هناك فترة انتقالية يكون فيها الملك أو من ينوب عنه قائداً عاماً للقوات المسلحة ورئيساً لمجلس الوزراء،

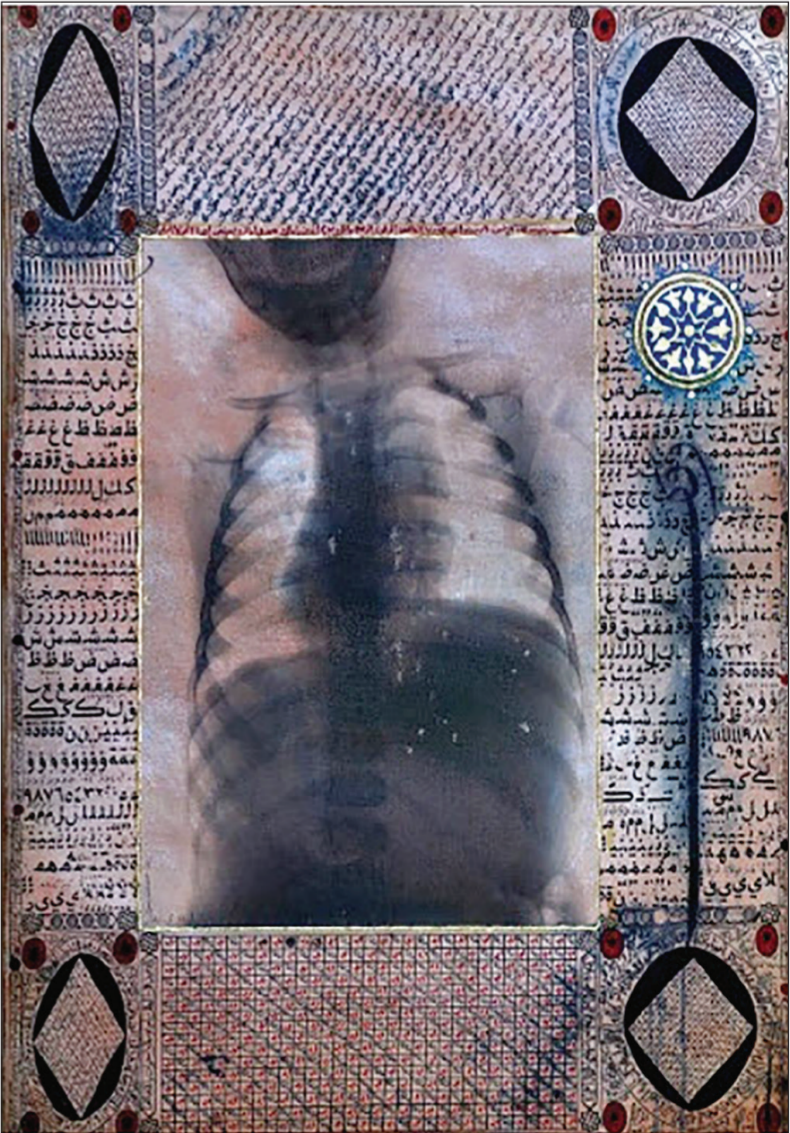
خطوات كعده لا يكتب لها النجاح من دون إيمان مطلق بضرورتها كطوق نجاة من التفتك والاضطراب والشؤرة المفتوحة على كل الاحتمالات، ومن دون تكبير قوى التشدد الديني، القدامى والجدد، ومن دون إعلان المملكة بأنها دولة تحترم حقوق الانسان في الداخل والخارج.. هذا قبل ان تحل عليها لعنة الوهابيين الجدد الذين يريدون تغييراً على طريقتهم، والاميركان يريدون اصلاً بنقذ مصالحهم، وتفوقت راية «داعش»، في التعبير شكلاً ومضموناً عن «الوهابية

الحقة»، بلا أنوان وتعيّدات النخلة والسيفين، العابرة والتي لا لزوم لها. اللون الأسود في راية داعش يشير الى العالم المظلم المحرف عن دين الله، دين نبيه خاتم الأنبياء، والذي يختمه فقط المعرّ عنه بالدائرة البيضاء، سعييد العالم كله إلى الصفاء الإلهي. رايات سهلة، وشعارات سهلة: اسلموا تسلموا، لا للقبور وزياراتها، لا للتماثيل التي تنشئها بالأضلاع، لا لكل اغترابات الحدافة وعقدھا، استسلموا للواقع الذي فطرکم الله عليه، واقع الإسلام وشرعته الأولى التي تريده «داعش»، كعالم له صدى طوباوي يسهل مهمة غسل أدمغة المتخرطنين أو المتورطين أو التائهين. وهو عالم افتراضي الوصول اليه يتطلب من أصحابه ارتكاب أفعط ما يمكن ان یرتكب، وكان ثمن دخول عالم الله هو القدرة على ممارسة ذرّة الرذائل!

الوهابيون القدامى والجدد يفترضون لأنفسهم فضاء العلياً خاصاً بهم يفصون من لا يجاربه ويمعاقبه بالإلغاء، غير مكتفين بإنكار ما يتخيله الآخرون من فضاء أجل مستوحى من صورة الله ذاته الجميل والذي يحب الجمال. ليس ممكناً ألا يكون في عالمنا الواقعي سارق حتى تقطع يده؛ ولا عصي حتى يجلد.. ليكون الناس أحراراً كما خلقهم الله، فالإل مال الله والمتع منعه التي لا نتحقق إلا إذا تمتع بها خليفته على الأرض، الإنسان، أياً كان، بمجزل عن دينه ومذهبه ولونه أو جنسه.

جمال محمد تقي

باحث من العراق مختص بشؤون الخليج العربي



أحمد مطر - السعودية

1.5 مليون منتسب إلى الأجهزة الأمنية العراقية.

أي ما نسبته حوالي 6 في المئة من إجمالي عدد السكان.

وهناك 30 ألف فرد يعملون في حماية المسؤولين الحاليين والسابقين.

مجانين بغداد يروون سيرتها

لا تختلف قصص فقدان العقل في العراق عن مثيلاتها في العالم، لها أساطيرها ونجومها اللامعون، ولأبطالها حكايات لا تنتهي. هؤلاء الذين تركتهم عقولهم لتنتزّه في البرازخ الضائعة لفترة طويلة، لهم أسبابهم، والسلطة في العراق – بكل أشكالها – عملت على تكوين الصور النمطيّة حولهم. لكن الجنون في العراق تغيّر بين نظامين سياسيين: أحدهما أمن في الديكتاتورية حتّى دجّن مجانينه، والآخر أمن في الفوضى والخراب حتّى رفضه مجانينه.

ما من خلاص

لم يجد الكثير من العراقيين بمواجهة سلطة دكتاتورية عاتية مثل نظام صدام حسين، في التسعينيات على وجه الخصوص، إلا الجنون «خيّاراً» أخيراً للتمسك بالحياة – ولو بنصف عقل – حتى طفحت العاصمة بمجانينها. فكان أن جنّ المثقفون على تخوت المهامي ليتجاوزوا مع مجانين أخرجتهم الحكومة العراقية من المستشفيات إلى الشوارع بعد أن شج الدواء والكوادر الطبية. صار هؤلاء جزءاً لا بد منه في حياتنا اليومية، فبات لكل حارة مجنونها المحبب الذي يجد العلف والملبس والطعام من العجانز، والشنيمة والحجارة من الأطفال.

كان جمال حافظ واعى، الحائز على الماجستير في الإعلام، يذرع بغداد وهو يكشف عن عجيزته لكل من يطلب ذلك. ويحصل على سندويش فلافل كل يوم صباحاً مجاناً ويقسّمه على يومه ببراعة تاجر فدّ الحساب. كان رافضاً لكل شيء في وقت تحول الإعلام الذي تخصص فيه إلى سلاح بيد السلطة لا يقل فتكاً عن البنادق وأحكام الإعدام. لم يكن أماله سوى هذا الخيار أو الفرار، فاخترت تسيط حياته بين هذا وذاك. تتابو على الجنون أوّلاً، ليقرّ بعدها إلى الأردن ومن ثم إلى استراليا حيث عاد إليه عقله هناك وعاد هو إلى الكتابة عن كل شيء... سوى عن أيام الجنون تلك لا يأتي على سيرتها البتّة، ضاحكاً فقط لكل من يذكره بها.

لم يكن واعى وحده من جنّ ليحيا، وإن تنوعت مظاهر الجنون بين هذا وذاك. كان عقيل علي، أول كتاب قصيدة النثر في السبعينيات، يسير بلايبس رتّة ولا يناقش أحدا في الثقافة والشعر، يسكر من الصباح حتّى المساء ذارعاً أزقة بغداد يجسد اصطليح بالكدمات بسبب التعرّض الدائم له. زاول عقيل الجنون لغاية عام 2004 حين وُجد في أحد الشوارع ميتاً وفي جيبه قصيدته الأخيرة رثاء لذاته: «فألى متى يا عقيل علي/ ما من خلاص؟/ أهذه ما يسمى حياة / كلا».

أكاديميون كثر نالوا قسطهم من الجنون في زمن صدام أيضاً. لكن دون أن يختاروا ذلك، فالحامية الجميلة التي ترافعت ضدّ عدي، نجل صدام في جريمة قتل، لم يلفت لها أحد رغم شجاعتهما في الوقوف ضدّ الدكتاتورية، وأدّى موقفها إلى أن يرّج بها عدي في مستشفى المجانين ليحرقونها هناك ويكووا رأسها. ظلت تجلس في الشوارع وهي تلفّ لهما على أخرى، وكأنها تدرس قضية بلاد ليس فيها قضاء أو عدالة. أما علماء الفيزياء والكيمياء والذرة، ومبتشحو الرئاسة في عهد الديكتاتور فقد ظلّوا فاغري فاه ترفدهم الحياة خارجها.

مجانين العالمة

كان بمقابل مجانين الثقافة أولئك المجانين الودعاء، ثورة كان اسمها، سمينة وجميلة بشعرها القصير، ويبطن جامعة على الدوام. أحيّت ثورة البرفقال والرقص أكثر من أي شيء آخر، فكانت عمتي الصغرى تساوها ببرفقاله يقابل هز خصرها ذي الإيقاع المصبوط على الدوام لا يحتاج لموسيقى أبداً.. بل وكان فرقة كاملة تنفق خلفها وتعزف من أجلها. تغمض عينها وتهمز.. ثم فجأة تنفض صدرها نفضتين لتتوقف عن الرقص وتمد كعفا لتأخذ البرفقاله وتجلس

بدائل الحياة لدى السوريين

يظهر أحد سائقي «صهاريج» نقل الحروقات التابع لشركة «سادكوب»، وهو اختصاصيّ باسم «الشركة السورية لتخزين وتوزيع المواد البترولية ومشتقاتها، في شهر كانون الثاني / يناير من هذا العام على شاشة قناة «سما» الخاصة، والمقرّبة من السلطة السورية، ليقول بأن المسؤولين عن تعبئة الصهاريج بمادة المازوت يطلبون منهم مبالغ مالية بمباية «الأتاوة»، جهاراً نهاراً، لقاء قبولهم تزويد «الصهرج» بحمولته المعتادة من مادة المازوت، ولا يكتفون لتعبات الرشاوى العلنية التي يطلبون، ثم وجزءاً ذلك، يبيع السائقون تلك المادة إلى محطات الوقود بغير سعرها الرسمي. لقد تحولوا بफल مخا الحرب الذي تديره البلاد على أرضها منذ سنوات إلى تجار يسترزقون من فساد السلطة، ومن إفسادها لكل الموجودات حولها. فهم بذلك ينتمون إلى إحدى حلقات الفساد في سلسلتها الطويلة المترابطة بدارية.

بدائلٌ على مقاس الفساد

الامان الماضيان وثقًا كنيّفة اصطناع الأزمات ذات الطابع الاقتصادي – الاجتماعي، ومن تم تزويجها على أنها فعلٌ منبوع المحض «العصابات الإرهابية»، ومحصلة نهائية للقوىات الاقتصادية الغربية. لم تتبرأ السلطة بذلك من تعميّقها لتلك الأزمات فحسب، وإنما أجادت استثمارها في مفاصل عديدة، وحولتها إلى قنوات ندرّ الأرباح، وإن على حساب تفهقر حياة الناس ودفعهم باتجاه استنباط البدائل بحسب المكن. لتكون في حقيقتها التظهير النهائي للأزمات المتعلّقة في صورة ربح طفيفي تجاري. ازدهرت في سوريا تجارة المولدات الكهربائية صينية المنشأ خلال عامي 2013 و2014، كبديل لغياب الكهرباء في برامج تقنين قاسية جعلها مفقودة نصف عدد ساعات اليوم. وتتراوح أسعار المولدات المنزلية بين



ليان شوابكة - فلسطين

بمحاذاة الدفأة وتاكلها ببطء وهي ترمي فضوصها الصغيرة الى النار لتطيّر تلك الراحة الساحرة.

ثورة التي كانت إحدى الاثرات اليوميةات لبيت جدتي كانت محل افتقاد إذا غابت، فقد فكانت مسلية الي بصغاره وكباره، إذ كانت تطلق الشتائم بصوت أجش وتعلم أننا سنضحك بعدها، حتى جاء اليوم الذي فكر أحدهم فجأة بتزويجها لأحمد، الشاب المهووس بالتطهر، الذي ما أن يلقي بركة ماؤها تخليط حتى ويجلس فيها. كان مسلماً ولم يرد يعنف يوماً على مضايقات الأطفال وأحجارهم التي ظلت تلاحقه، وهو الذي ينساق إلى أي كف تمسك كفه. هبات عمتي ثورة، حسمتها بماء دافئ والبستها فستانا أحمر عريضاً وأطلقتها إلى الشارع، وما كان إلا أن يضع الأطفال كف أحمد بكف ثورة فسارا بعيداً في تلك الظهيرة من دون أن يلتفتا لأحد. كان الحدث حديث الحي طوال اليوم، وظنت الجدات في منطقة باب العظم أن الرشد عاد إليهما.

قصة جنونهما أيضاً ترتبط بالسلطة، وكان اسمها الذي حمل وعوداً انقلاب عليها حين تزوّجها ضابط واغتصبها ليلة عرسها.

يُقال أنها جنّت على إثر ذلك وصارت تسير في الشوارع بدشداشتها الفضاضة، والجنون بالجنون يُذكر، إذا أن الغنيّة سهي عبد الأمير، كانت علاقاتها بأحد المسؤولين قد أدت بها إلى مستشفى المجانين، ولم تجد نقابة الفنانين أن تفعل أكثر من الحصول لها على مقطورة صغيرة نصبتها في الشارع لتسكنها فيها.

أما أحمد فيقال إنه مهندس وبقرة أدى إلى فقدانته حبيبته التي كان أهلها ناذفين في السلطة، الأمر الذي دفعه إلى الجنون بسبب الفارق الطبقي بينه وحبيبته. في تلك الظهيرة ابتلعتما الشمس الدافئة ولم يعودا مجدداً، ونسجت الحكايات حولهما وأفساها كان اتهامهما بالعمل كوكيلين لجهاز الأمن التابع لصدام حسين الذي خلق مجتمعا لم ينح من استبداده حتى المجانين!

مجانين الميديا

سيحلّ محل هؤلاء المجانين بعد عام 2003 مجانين ثرثارون، يُدينون بأقسي العبارات وأكثرها شتيمة الأحداث اليومية المتسارعة والسياسيين ورجال الدين، إذ لا يقلت من لسانهم أحد. ولهؤلاء نصبت

المدن أكثر من سواها إلى شرائه يسعره الأسود، لكن الأرياف السورية أحصت منافذ أخرى لتأمين وسائل تدفئة بديلة، فبالغ المزارعون بتقليم أشجارهم، واحتطاب بعضها كي لا يدرّكهم الموت برداً، حتى أنهم لم يوفروا بقايا ثمار الزيتون بعد عصرها لإستخراج الزيت جففوها، وباعوا الطن الواحد منها بنحو 18 ألف ليرة. الأكثر فطنة منهم حول فضلات المواشي خلال أشهر الصيف إلى مادة قابلة للاشتعال تكون بديلاً للمازوت وللحطب معاً ولا تكلف شيئاً.

تلك البدائل مجتمعة كشفت عورة التكيف، وأعدت حياة السوريين إلى ما قبل تاريخ آذار / مارس عام 2011، ولعل القبضة الحديدية للسلطة في التعامل مع الاحتجاجات الشعبية السابقة هو ما أيقظ الرهاب المجتمعي خلال العامين الماضيين من جديد، فاشترى المجتمع فساد السلطة بصمت، وأمنّ تحويله إلى ربح تجاري.

تكيف الدخول المتأكلة

لم تضف الزيادة الأخيرة على الرواتب والبالغة 4 آلاف ليرة (ثمان كيلوين من اللحمة) أي جديد على القدرة الشرائية للموظفين في سوريا. إذ جاءت ملتصقة برفع سعر المازوت والخبز وأجور النقل.. وسوى ذلك، لذا بقيت الكنتلة الأكبر من دخول السوريين منذورة للحاق بارتفاع المستويات العامة للأسعار، وكأنها ربحٍ مخبأ في جيوب الناس يجب على السلطة امتصاصه في متواليات أسعار وهمية لا تمثّل قيمة السلع الحقيقية. لكن أغلب الدخول المتلصقة بحط الفقر الأعلى وما دونه استعاضت عن بعض مكونات سلّة الاستهلاك اليومي بأخرى أقل كلفة، علّها تتعافي من سرعة اضمحلالها، فصار اللحم المجمّد الذي يصل سعر الكيلو منه إلى نحو 800 ليرة بديلاً عن اللحوم المعتادة، والتي يبلغ سعر الكيلو منها نحو 1800 ليرة، وظهرت الألبان الرخيصة

صغيرة ستقلتها وستقعننا أن الداخلية هي من قتلتها، شوف، الحادث غامض ومريب، صحيح أن الشرطي كان يقف بعيداً عنها بمترين، وصحيح أن كل زملانها قالوا إنها ماتت برصاص الداخلية، ولكن ما أدرانا؟ أنت مثقف يا عزيزي ولا ينبغي أن تستسلم للمنطق البسيط. أم أن انحيازاتك الأيديولوجية أعمكت عن الحقائق. مثلاً، لماذا لا يكون التئنين هو من قتلها؟ أنت تقول أن التئنانين كانتات أسطورية. اسمح لي، هذا حكم تعميبي، هل تعلم أن

صحيح، شيما فُتلت، وكلنا حزاني لموتها، ولكن قال إن الشرطة هي من قتلتها؟ لا أفهم، لماذا تستبعدون إمكانية أن يكون الإخوان من قتلوها؟ أليس هذا احتمالاً واردًا؟ أنا أقول لك هذا لتري لأي مدى أنتم منفصلون عن الواقع ولا ترون إلا ما تريدون رؤيته. أليس هناك احتمال أن يكون زملأها من قتلوها؟ ثم تعال هنا، لماذا تستبعد المؤامرة الأميركية الصهيونية الإيرانية على منطقتنا؟ هذه دول عظمى يا صاحبي، وبالتأكيد لو أرادت قتل بنت

أسئلة ذكية

المنصات فيُرّال فجأة اللغام عنهم، ليُصبّحوا نجوماً على «فيسبوك» و «يوتيوب»، وتصير مقاطع الفيديو التي يتحدثون فيها الأكثر تداولاً على الهواتف المحمولة، بل ويعضّم يستعار كشخصيات رئيسية في البرامج الكوميدية على شاشات التلفاز.

في عام 2004 كان جبار يذرع الشوارع جيئةً وذهاباً يوجه جملة شتائميّة إلى شيء مؤنث مجهول هناك، قيل إنه يدين السلطة بتلك الجملة وقيل إنه يدين امرأة أحبها. وفي ظهيرة يوم قاطظ في بغداد وقف أمام سيارة همر أميركية ليعطل مرورها، وما كان من الجندي داخلها إلا أن قضى عليه برصاصه استقرت في قلبه ليتوفى جبار فوراً. ولم يعرف أحداً سرّ جملته إلا أن سبب جنونه سرعان ما تبدي بموته، فقد كان أحد المشاركين بانتفاضة عام 1991 ضدّ نظام صدام حسين، إلا أن فشل الانتفاضة وما رافقها من إعدامات وتعذيب أدى إلى جنونه الذي دفع جبار، الذي عاش عنف مرحلتين سياسيتين دمويتين، إلى حتفه.

سيُزج بالمجانين في الحرب بين الحكومة العراقيّة والتنظيمات المسلحة في عامي 2006 و2007، حين استغلّ تنظيم «القاعدة» مجانين عدة في الشوارع ليبلّسهم حزاما ناسفاً ويوزّعهم على أهداف غالباً ما تكون أسواقاً شعبية. هكذا تحوّل المجنون الغريب عن المناطق في تلك الأعوام إلى جسم مرعب يُحسب له ألف حساب.. بدل ذلك المضحك، الذي بجنونه كان يبدد قليلاً من شظف العيش لدى العراقي البسيط.

بالمقابل، سيصبح «أبو رشا»، الذي بصق بوجهه رجل أمن، فيلسوفاً وهو يشخّص خللاً في نظامين سياسيين متعاقبين، الأول نظام صدام حسين الذي يشتمه بأفدع الشتائم لأنه ترك البلاد تنحدر إلى هذا المستوى بسبب سياساته الحققاء، ثم الوقت الحالي الذي بات فيه العسكري الفرد يكيل الشتائم والضرب للمدنيين.

في ذلك أيضاً تحوّل المجنون إلى حكواتي يروي سيرة الحاضر التي لا يستطيع أحد التطرّق لها، وسيخلق من كل هذا مجانين مشهورون ينتظر الشبان كلامهم لينصتوا له، وأحد أشهر أولئك ستار. ستار الرث، تحوّل إلى معلقٍ سياسي ليس على الأحداث في العراق وحسب، وإنما يحاول صناعة نبؤاته الخاصّة بالشأن العربي.. في عام 2012 ظهر له مقطع فيديو يقول فيه بأن الأوضاع في البلدان العربية المحيطة بالعراق ستتحدر إلى الدرك، وترجّى مصوّر الفيديو أن لا تتعرّض له ميليشيا «جيش المهدي» لأنه من جماعتهم، وينتمي لهم، وهو يحاول الانتقاد ليس أكثر، وبمقابل الأمان الذي منح لستار كان عليه أن يمنح صلّة ولاءٍ لمحدّته، وهو سبّ خلفاء بغيهم.

بلاغة الجنون

لم يكتشف سرّ مجنون يروى أنه كان يدور شوارع بغداد وهو يرِدّد «شيلهما»، (كيف تلم) إلا بعد سقوط نظام صدام حسين. كان هذا سرّ تحوّل إلى مروية خرافية دون أن يجزّم أمر وجوده من عدمه، أو فيما كانت الناس قد اختلفته بحثاً عن مهرب من قسوة السياسة. كان المجنون يقصد بلفوه إياه صور صدام حسين التي ملأت الشوارع والساحات، وببلاغةٍ تأقية، «شيلهما» هي الإحدى لوصف النظام السياسي الجديد الذي حلّ بعد احتلال بغداد، إذ تفاقمت أزمة الصور، وبدلاً من صورة لشخص واحد يرعب الجميع، علّقت في شوارع بغداد صور لأشخاصٍ كثر مرعيين، زعماء ميليشيات ورجال دين وسياسيين، ما بيد أحد أن يلهما، والخوف من أصحابها من نصيب عقلاء المدينة ومجانينها على حد السواء.

عمر الجفال

كاتب صحافي من العراق



الكون موجود منذ بلايين السنوات؟ هل تريد أن تقنعني أنه بالصدفة، وعلى مدار بلايين السنوات لا يمكن هناك تنين واحد على الأرض. هناك احتمال أن يكون موجوداً، صح؟ وإذا كان هناك إمكانية لوجود التنين فهناك إمكانية لوجوده في ميدان طلعت حرب وقلته البنت، صح؟ أعرف أن كلامي يبدو لك غريباً، ولكن هذا لأنك لا تصدق إلا ما تكره تصديقه، لأنك بصراحة منفصل عن الواقع يا عزيزي.

نص نائل الطوشي ورسم مخلوط

متابعات

أشكال الفساد وعقابها المؤجل

دخل رجل مكتب تسجيل الولادات وقال للموظف المسؤول: أريد تسجيل ولدي في دفتر الحالة المدنية.

الموظف: وما اسم ابنتك؟

الرجل: أبو بكر.

الموظف: لا. يمنع علي تسجيل الأسماء المركبة.

أخرج الرجل 200 درهم ووضعها فوق ورقة ولادة الطفل في المستشفى، فسأل الموظف الرجل بابتسامة كبيرة: «هل تريد أن نسميه أبو بكر ونزيد رضي الله عنه؟».

هذه نكتة مغربية عن الرشوة. حين تدفع تحصل على ما تريد حتى لو ناقض القانون. ويتداول المغاربة نكتاً كثيرة فيها سخرية مريرة من الفساد، تسليمة وانتقاداً أيضاً. ومن ذلك التعجب لأن إحصاء السكان تجاهل طرح سؤال جوهرى: «كم من مرة دفعت الرشوة للحصول على حقل؟».

لا تصدقون النكات؛ طيب، هاكم الوقائع:

نشر صحافي مغربي -أسس مزور - قصة محاولة إرشائه من طرف زعيم سياسي. لكن الزعيم أكد أنه لم يحاول الإرشاء إلا لأن صحافيين آخرين قبلوا الهدية. عذر لا ليس فيه. وفي هذه الأجواء نظم فرع النقابة الوطنية للصحافة المغربية بالدار البيضاء ندوة حول «الصحافة والإعلام السعمي البصري الإلكتروني والرشوة»، وقال رئيس الفرع إن الهدف هو تحسين الجسم الإعلامي من الواياء، ونذرت الندوة بالصحافي الذي يضع كرامته في المزاد العلني ويخلط بين العمل الصحافي والإعلان. وقد عددت توصيات الندوة أسباب هذه الوضعية، وهي قوة المال وتردي أوضاع المهنيين واللهاث وراء الامتيازات والإتاوات وقطع الأرض الشاطئية، وأوصت بضرورة فضح الذين وضعوا أنفسهم في خدمة الفساد وتعمير مهنة الصحافة.

بعد أيام قليلة اختفى الموضوع من صفحات الجرائد، لأن الجسم الإعلامي حساس تجاه الظاهرة، لكن يبدو أننا في المغرب نستكشف منطفة بكرة. فقد جرت العادة، وما زالت، بالنظر إلى الصحافي كبتل. وهذه رشوة في قلب السلطة الرابعة. وعلى العموم فالصحافيون خذرون جداً في الحديث عن الفساد بدقة لأن القضاء يطالبهم هم بإثباته، أي تتم مكافحة الفساد عبر قطع الأصبغ الذي يشير للتمهم.

في انتظار تغير الوضع، هذه أشكال الرشوة حسب الصحف:

الرشوة النقدية هي أكثر أشكال الفساد انتشاراً. وقد صور قناصة بالكاميرات رجال شرطة ودرك يقبضون. التحقيقات مع 25 دركياً في قضايا رشوة. هذه جرائم الموظفين الصغار ويسهل إثباتها وهي تحتل الصفحات الأولى للجرائد. وهناك الفساد في الصفقات العمومية. وفيه لا يظهر من قبض ولكن الأدلة تُعسي. مثل هذا: الأمطار تكشف شقوقاً وتصدعات تهدد بناية مجلس المستشارين. كم عمر البناية؟ ثلاث سنوات. ومثل هذه

الحالة في الطرق والقناطر والمؤسسات التعليمية. وهناك فساد من نوع آخر: لجنة تفتيش بكلية أسفي تحقق في تزوير العلامات في شهادة الماستر. وبرلمانيون يتقاضون تعويضاتهم رغم اعتقالمهم. والتحقيق في الاستيلاء على عقار باستخدام هوية شخص ميت. ومتابعة موظف بالسجن سرب مخدرات للسجناء. حاميها حراميها. وهناك سلوكيات فساد تحتقر الناس مثل وزير استاجر سيارة بأكثر من ثمن شرائها، وآخر اشترى قنطار شكولاتة لأمه من مال الوزارة...

في كل هذه الحالات، لم تفر أخبار الصحف أي تغيير، ويعلق المغاربة على توالي الوقائع بالقول «عفا الله عما سلف»، وهي جملة قالها عبد الإله بنكيران لاسترضاء مهربي الأموال للخارج. واعتبرها المغاربة تشجيعاً للفساد. تعظيماً على تواتر هذا، قال محلل سياسي إن ما يبعث على القلق هو تحول المغرب إلى «دولة رخوة» لا يهايها أحد، يحكم عدم خضوع المسؤولين فيها عن الفضائح ومفلات الفساد للمحاكمة التي تبت في أمرهم، كي لا يفلتوا من

يعزي مقدم الرشوة نفسه بأنه واثق من أن أخذ الرشوة لن ينجو، بل سيصاب في نفسه وماله وولده

العقاب، علماً أن الدستور يربط المسؤولية بالحاسبة. تنبعت من هذه الرخاوة راحة عفنة تتجاوز حدود البلد، إذ كشفت تقرير لمرکز أميركي أن الأموال تهرب من المغرب نحو الخارج بصورة متزايدة، وقد وصلت إلى عشرة مليارات دولار ما بين 2003 و 2014. يؤمن المهرب نفسه ويردد «الفلوس هي ركبك». من أين جاءت هذه الأموال المهربة؟ صُفّ تقرير حديث للبنك الدولي للإنشاء والتعمير والمؤسسة الدولية للتنمية، المغرب من ضمن أكثر عشر دول اقتراضاً في العالم سنة 2014. لتصبح بذلك الدولة الأكثر مديونية في منطقة شمال إفريقيا والشرق الأوسط. تدخل الأموال من الباب وتخرج من النافذة. آخر حلقة في مسلسل الاستدانة والنهب والإرجاع ذكر رئيس الوزراء أن تصريحات مهربي الأموال للخارج تزيد عن ملياري ونصف مليار دولار. وقد صرحوا بها مقابل وعد حكومي بعدم متابعتهم وفرض غرامات عليهم إن أرجعوا الأموال لتخزينها في بنوك مغربية. ولتطمئن نفسي عن

حلم..



المزيد على موقع «السفير العربي»
- الأردن والنقل العام: «السيارة مش عم تمشي!» - أحمد أبو حمد

- مصر وترسيخ «مجتمع الخرافة» - محمود عبد الرحيم

- تايمونا على «فايسبوك»: السفير العربي - Assafir Arabi

- تواصلوا معنا على «تويتر»: @ArabiAssafir

إلى «لامبيدوزا» في إيطاليا هرباً من جحيم الحروب والجوع في بلادنا

أُنقذ هذا الطوف المحملّ بمهاجرين من أفريقيا وسوريا، بينما غرق عديدون قبله وبعده ما حوّل البحر الأبيض المتوسط الى أكبر مقبرة في العالم. كان ذلك في حزيران/يونيو الماضي، بالقرب من الشواطئ الايطالية الجنوبية، حيث غدت جزيرة لامبيدوزا عنواناً لسعي هؤلاء البائسين، الصورة في غاية «الجمال»، التقطها المصور الايطالي مسيمو سيسيتيني من على متن طائرة هليكوبتر تابعة لقوات الإنقاذ. ويقول إنه حاول على مدى سنتين، الى أن أفلح بالتقاطها بهذه الجودة، ويشير الى صدقة توجه أنظار كل ركاب الطوف معاً الى أعلى. وهي من ضمن 20 أفضل صورة لعام 2014 بحسب الغارديان البريطانية.



مدونات شهادة في مقتل شيما الصباغ

«الحاية عزة سليمان (48 عاماً)»

- بالأمس كنت بتغدى في مطعم ريش مع عائلتي وأصدقائي حوالي الساعة 3 ونصف، سمعت أصوات مسيرة، خرجت للمشاهدة وجدت الاستاذ حلمي شعراوي، طلعت فهمي، العام المرغني وآخرين من التحالف الشعبي. سلمت على بعضهم وضحكتا وكان عددهم حوالي 25 ل 30 شخصا، ومعهم ورود. انتقلوا الي الرصيف المواجه لي عند ميدان طلعت حرب. رحنا أخذ صور.

- الشرطة بدأت «السايرينة» والاقتراب منهم، وكان بعضهم ملثم ومعهم بنادق سودا طويلة، جالي نديم ابني ووالي «لو سمحتي تعالي معي هما هياضربوا، أنا شفت الموقف ده كثير قبل كده». قلت له: «أكد لآ لو على الغاز أنا متعوده.. لم اكمل الجملة حتى بدأ ضرب الأعمرة النارية والغاز. كل الناس جريت وورانا الشرطة على الرصيف الثاني أمام ريش. شفت حد وقع مش عارفة شاب أم شابة، لغاية لا انتقلت للممر الجاور لريش عرفت انها بنت، وشفت حد بسيط. لم ار وجهها، واللي معاها بيزعق «اسعالماف»، وضابط من المئتمين ومعاه سلاحه يقرب منهم.

- طلعت كان في اتجاهنا الا ان ضابط خده من يده الى ميدان طلعت حرب. اصحاب البنت خدوها لإسعاف. لم اعرف تفاصيل. طميا الشرطة كانت زي الجراد يشارع طلعت حرب وراء الناس، وشفتهم وهما يقبضوا على اثنين من الشباب لم اعرفهم.

- بدأت اكتب اللي حصل. اتصل بي عن عدد من الأصدقاء للاطمئنان وطلبت منهم يقولولي أخبار البنت اللي اتصابت لي اهو يعرفوها. في طريقي للبيت

اتصلت بإحدى صديقاتي لتطمئنني على طلعت فهمي. عاودت الاتصال بي وبلغتني ان البنت ماتت، وطلعت مقبوض عليه بقسم قصر النيل مع آخرين.

- نزلت ثاني من البيت وانا مش مصدقة ان البنت ماتت. ماتت خلال دقائق. ورحت مشرحة زينهم وكان مشهد رهيب. اغلب أصدقاءها وصديقاتها باعرفهم، شباب وشابات مناصلات، ارتفع الصراخ والعويل

منهم، وعرفت ان الشهيذة لها ابن عمره 4 او 5 سنوات.

- سألني احمد راغب الحامي عن رغبتى بالإدلاء بشهادتي، قلت له اني موجودة عشان كده. ذهبا جميعا مع محامين ومحاميات وشهود من حزب التحالف الشعبي الي النيابة عابدين.

- بعد حوالي ساعة قابلنا رئيس النيابة واخذ معنا بطاقات الشهود وكارنيه الحماية الخاص بي للشهادة. حدثت مشادات بيته وبين بعض

- المهم أكثر من 5 ساعات بالنيابة. دخلت للشهادة، دخل معي الاستاذ

احمد راغب والأستاذة سيدة وبدأت اسئلة النيابة. حكيت اللي حصل:

- أولا وجودي كان بالصدفة حيث كنت أتناول الغذاء بمطعم ريش

- ثانيا المسيرة كانت سلمية وعددهم لا يتجاوز 30 شخص. معهم ورد

وياطاف.

- ثالثا الشرطة كانت بعدد كبير جدا لا يتناسب مع عدد المسيرة.

- رابعا الشرطة كان فيهم ملثمين شكلمهم مرعب مما ينم انها تنوي الغدر بالمسيرة.

- خامسا الشرطة أطلقت الأعمرة النارية (الخرطوش) والغاز خلال دقائق

من بداية الهتاف «عيش حرية عدالة اجتماعية»، سلمية خالص.

- سادسا الهجوم على المسيرة وتبعضهم والجري وملاحقتهم كالجراد في شارع طلعت حرب.

- سابعا مقتل احد أفراد المسيرة واسمها شيما الصباغ. وان الشرطة

هي اللي قتلت شيما، أشهد على ذلك يمين أحاسب عليه.

- بعد هذا التحقيق، فوجئنا ان النيابة تحولتو الي متهمه، ويتم التحقيق معي، ويبدأ وكيل النيابة بأنه تم القبض على عزة سليمان في سراي النيابة، وبدأ في سرد سني وشكلي ولبسي وطولي الخ.. طبعاً، اعترضنا وقلنا انه ليس قانوني واني شاهدة مخلووعة الخ.. ولكن وكيل النيابة قال كلام فعلا لا قانوني ولا منطقي ولا اي شيء. المهم بدأت الأسئلة والانتهام وسرد ما جاء في محضر الشرطة ضد المسيرة بأنها غير مصرح بها، مع استخدام أحجار وضرب الشرطة واستخدام شماريخ نارية، ومقاومة الشرطة. وان الشرطة استخدمت مياه لتفريقهم إلا أنهم قاوموا. ما هي اقوالك؟

- قلت له ان التقرير كله كذب وتلفيق، وأعدت عليه ما تم من انتهاكات واعداءات الشرطة على المسيرة اللي نتيجتها قتلت شيما الصباغ.

السفير العربي

1000 أو 2000 دولار هو «ثمن» الحصول

على تركية من عضو نافذ، وهو الشرط الذي تضعه

معظم الأحزاب السياسية العراقية على المتقدم الجديد للانتساب.

جابر العظمة/ سوريا

^[1] شهادة أدلت بها أمام النيابة العامة

^[2] (صفحة Azza Soliman على فايسبوك - 24 كانون الثاني/يناير)